فوائد منهجية
من نصح عائشة رضي الله عنهما لمعاذة

لفضيلة الشيخ

محمد بن رمزان الهاجري

إعداد

هاشم بن عمر بن علي باحاج

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيْثِ مُعَاذَة[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: ((**سَأَلْتُ عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ: مَا بَالُ الحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ، وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟ فَقَالَتْ: أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟ قُلْتُ: لَسْتُ بِحَرُورِيَّةٍ وَلَكِنِّي أَسْأَلُ. قَالَتْ: كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ، فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ، وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاة**))[2].

---

(١) قال ذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في سير أعلام النبلاء: بنت عبد الله، السيدة العالمة، أم الصهباء العدوية البصرية العابدة، زوجة السيد القدوة صلة بن أشيم، روت عن علي بن أبي طالب، وعائشة، وهشام بن عامر.

حدث عنها أبو قلابة الجرمي، ويزيد الرشك، وعاصم الأحول، وعمر بن ذر، وإسحاق بن سويد، وأيوب السختياني وآخرون، وحديثها محتج به في الصحاح، وثقها يحيى بن معين.

بلغنا أنها كانت تحي الليل عبادة، وتقول: عجبت لعين تنام، وقد علمت طول الرُّقاد في ظلم القبور، ولما استشهد زوجها صلة وابنها في بعض الحروب، اجتمع النساء عندها، فقالت: مرحبا بكنَّ، إن كُنْتُنَّ جِئْتُنَّ للهناء، وإن كُنْتُنَّ لغير ذلك فارجعن، وكانت تقول: والله ما أحب البقاء إلا لأتقرب إلى ربي بالوسائل، لعله يجمع بيني وبين أبي الشعثاء وابنه في الجنة، أرخ أبو الفرج ابن الجوزي وفاتها في سنة ثلاث وثمانين.

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ط الرسالة (ج٤/ ص٥٠٨،٥٠٩).

(٢) "أخرجه البخاري في صحيحه" برقم: (٣٢١) و"مسلم في صحيحه" برقم: (٦٩/ ٣٣٥).

وبهذه المناسبة أتت امرأة يقال لها معاذة[١] وهي تابعية إلى أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: يا أماه ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ عائشة لما سمعت هذا السؤال لم يُعجبها، السؤال فيه نوع اعتراض، والأصل في المسلم التسليم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النساء,٦٥]، الاعتراض على الشريعة لغة أهل البدع، والطريقة في هذا الطرح الاعتراضي على الأحكام التكليفية الشرعية فيه نفس خارجي، فعائشة لم تجبها، وكان السؤال مشكل، فردت على السؤال بسؤال حتى يتضح الحال، لأن الوضع الذي حصل منها ليس هو ما ينبغي من أسئلة السائلين للمسؤولين، ولا من طريقة المستفتين للمفتين، قالت لها: أحرورية أنت؟ لأن هذا النفس نفس أهل البدع والخوارج، فقالت: لا يا أماه، لست بحرورية ولكني أسأل، فلما وجدت منها هذا النفس كاشفتها وضوحا وتصريحا لا مجاملة فيها، فتركت المسألة الفقهية جانبا وأتت لتصحيح العقيدة، فلما رأت أن هذه السائلة عندها هذا الأمر فلم تجبها بالتفصيل، وإنما أجابتها بالتأصيل، فقالت: هكذا أمرنا رسول الله ﷺ، هل فصلت أم أصَّلت؟ أصَّلت أن هذا الاتباع هو الأصل أن هكذا أُمرنا، وإذا أُمرنا ماذا نقوا؟ نقول: سمعنا وأطعنا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [سورة هود,١١٢]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [سورة النّور,٦٣]،

(١) تقدم الحديث عنها في: (ص١).

وقال النبي ﷺ: ((مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهو رَدٌّ))[١].

هناك وقفات مع هذا الحديث وإن كنا في أحداث الصيام إلا أن العقيدة والمنهج في كل الدين واحد:

۞ الوقفة الأولى:

امرأة لا تعرف أحكام القضاء في الصيام والصلاة في عذرها وحيضها، وهو وصف قائم بها مستمر بحالها، تجهل وتسأل، فلما قيل لها: (أحـرورية أنت) الحرورية[٢] وصف لأهل البدع، وتصنيف لهم بالمكان الذي اجتمعوا فيه وخرجوا منه، هنا صُنِّفوا

---

(١) "أخرجه مسلم في صحيحه" برقم: (١٧١٨)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) حروراء: قيل: هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل، موضع على ميلين منها نزل بها الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فنسبوا إليها.

قال ابن الأنباري: حروراء كورة، وقال أبو منصور: الحرورية منسوبون إلى موضع بظاهر الكوفة نسبت إليه الحرورية من الخوارج، وبها كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا علي، قال: ورأيت الدهناء رملة وعثه يقال رملة حروراء.

انظر: "معجم البلدان" لياقوت الحموي، ط دار صادر بيروت (ج٢/ ص٢٤٥).

قال مصعب سألت أبي ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة الكهف,١٠٣]، هم الحرورية؟ قال: لا؛ هم اليهود والنصارى؛ أما اليهود فكذبوا محمدا ﷺ، وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وكان سعدا يسميهم الفاسقين.

=

بالمنطقة، وقد يُصنفون باسم الطريقة التي هم عليها كالمرجئة، أو الرافضة لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر، أو المعتزلة الذين اعتزلوا مجلس الحسن البصري عندما قال لهم: (من لم يقل بقولنا فليعتزل مجلسنا) فاعتزل واصل بن عطاء إلى زاوية من ناحية المسجد وجلس أتباعه حوله، أو باسم الشخص الذي تبعوه كالجهمية[1]، وهذا الزمن كان زمن الصحابة، إذا فيه وصف وتصنيف لأهل البدع، بل بأسمائهم، وهذه الجاهلة البسيطة العامية التي لا تعرف أحكام القضاء في الصيام والصلاة، لم تجهل الحرورية لأن صوت التحذير قد بلغها، ولو كانت تجهل لقالت ما الحرورية يا أماه؟ ولكنها

= وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يخرج في هذه الأمة، ولم يقل منها، قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، فيقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم، أو حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي في سهمه إلى نصله إلى رصافه، فيتمارى في الفوقة، هل علق بها من الدم شيء)). "أخرجه البخاري في صحيحه" برقم: (٦٩٣١)، و"مسلم في صحيحه" برقم: (١٦٤).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وذكر الحرورية، فقال: قال النبي ﷺ: ((يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)). "أخرجه البخاري في صحيحه" برقم: (٦٩٣٢).

(١) وهم أتباع الجهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم الضال، وكذلك ممن نسبوا إلى الأشخاص القطبية أتباع سيد قطب، والتيجانية أتباع أحمد التيجاني، والإباضية أتباع عبد الله بن إباض، والبناوية أتباع حسن البنا، والياسوية أتباع محمد إلياس الكاندهلوي الهندي ـ وهي التي تسمى جماعة التبليغ وتسمى الأحباب ـ ولشيخنا محاضرة قيمة عن هذه الفرقة المنحرفة وقد فرغت المحاضرة، والسرورية أتباع محمد سرور، والحدادية أتباع محمود الحداد، وغيرهم كثر من تلك الفرق الضالة المنحرفة.

نفت عن نفسها أمر يُعاب، فقالت: (لست بحرورية) والحرورية هم الخوارج[١]، فدل على أن صوت الإنكار بلغ العوام الذين يجهلون كثيرا من أحكام الإسلام.

---

(١) قال الشهرستاني رَحِمَهُٱللَّهُ: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان. ثم قال: اعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جماعة ممن كان معه في حرب صفين، وأشدهم خروجا عليه ومروقا من الدين: الأشعث بن قيس الكندي، ومسعر بن فدكي التميمي، وزيد بن حصين الطائي حين قالوا: القوم يدعونا إلى كتاب الله، وأنت تدعونا إلى السيف! حتى قال: أنا أعلم بما في كتاب الله! انفروا إلى بقية الأحزاب! انفروا إلى من يقول: كذب الله ورسوله، وأنتم تقولون: صدق الله ورسوله. قالوا: لنرجعن الأشتر عن قتال المسلمين، وإلا شرذمة قليلة منهم حشاشة قوة، فامتثل الأشتر أمره.

انظر: "الملل والنحل" للشهرستاني، ط مؤسسة الحلبي (ج١/ ص١١٤).

قال الإمام الآجري رَحِمَهُٱللَّهُ: باب ذم الخوارج وسوء مذهبهم، وإباحة قتالهم وثواب من قتلهم أو قتلوه، قال محمد بن الحسين: لم يختلف العلماء قديما ولا حديثا أن الخوارج قوم سوء عصاة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، نعم، ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم، لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين، وقد حذرنا الله تعالى منهم، وحذرنا النبي ﷺ، وحذرنا الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان، والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديما وحديثا، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين، فأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله ﷺ هو رجل طعن على رسول الله ﷺ، وهو يقسم الغنائم، فقال: اعدل يا محمد، فما أراك تعدل، فقال ﷺ: ((ويلك، فمن يعدل إذا لم أكن أعدل)) فأراد عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قتله، فمنعه النبي ﷺ من قتله وأخبر: ((أن هذا وأصحابا له يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين)) إلخ. انظر: الشريعة للآجري، ط دار الوطن (ج١/ ص٣٢٥/ ٣٢٦/ ٣٢٧).

۞ الوقفة الثانية:

أهمية التحذير من البدع ولو كان السؤال عن الطهارة، فأمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حذرت من الخوارج مع أن السؤال كان في الفقه، وبعض الناس يقول: (الدرس فقه فلا تتحدث عن أهل البدع ولا تحذر منهم).

۞ الوقفة الثالثة:

الإنسان قد يعتبر بالقرائن، فأمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شكت في السائلة فوجهت لها السؤال، هل أنت منهم؟ كل هذا لمجرد إشكال يورده الخوارج، وبعض الناس يرى من الرجل أقوالا ـ ليس مجرد تساؤلات ـ تشابه أقوال أهل البدع، ومع هذا يقول هو من أهل السنة ويعتذر له!، فمن طرح لنا طرح أهل البدع فهو معهم، سواء كان طرحه طرح الياسوية أتباع إلياس، أو البناوية أتباع البنا، أو القطبية أتباع قطب، أو السرورية أتباع سرور، أو الحزبية أتباع الأحزاب والتنظيمات الكفرية، أو غير ذلك.

۞ الوقفة الرابعة:

أن رسول الله ﷺ ربى زوجته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعلمها وحذرها من الأهواء والفتن، كما جاء في الحديث الآخر الذي خرجه البخاري أن رسول الله ﷺ: ((**تلا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ**

إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ فقالت: قال رسول الله ﷺ فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم))[1]. وهكذا أهل العلم يحذرون الناس من الأهواء والبدع.

---

(١) "أخرجه البخاري في صحيحه" برقم: (٤٥٤٧)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وهي التي قد روت لنا حديث النبي ﷺ: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)). "أخرجه البخاري في صحيحه" برقم: (٢٦٩٧)، و"مسلم في صحيحه" برقم: (١٧١٨) وللفظ له.

وفي روية مسلم: ((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)). "أخرجه مسلم في صحيحه" برقم: (١٧١٨).

وهذا الحديث أصل من أصول الدين، وشوكة في حلوق أهل البدع والأهواء لأنه يهدم عليهم باطلهم، وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ((ثلاثة أحاديث يدور عليها الإسلام)). وذكر منها هذا الحديث.

انظر: مجموع الفتاوى: (ج١٨/ ص٢٤٩)، والمقصد الأرشد لابن مفلح: (ج١/ ص١٠٩)، وجامع العلوم والحكم: (ص٩)، وفيض القدير للمناوي: (ج٣/ ص٤٢٥).

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ـ حفظه الله ـ: (هذا حديث عظيم جدا، عظَّمه العلماء، وقالوا: إنه أصل في رد كل المحدثات، والبدع، والأوضاع المخالفة للشريعة، فهو أصل في رد البدع في العبادات، وفي رد الحقوق المحرمة، وفي رد الأوضاع المحدثة على خلاف الشريعة في المعاملات، وفي عقود النكاح، وما أشبه ذلك، ولهذا جعل كثير من أهل العلم هذا الحديث مستمسكا في رد كل بدعة من البدع التي أُحدثت في الدين؛ ولهذا ينبغي لطالب العلم أن يحرص على هذا الحديث حرصا عظيما، وأن يحتج به في كل مورد يحتاج إليه فيه في رد البدع، والمحدثات: في الأقوال، والأعمال، والاعتقادات، فإنه أصل في هذا كله.

انظر: "شرح الأربعين النووية" للشيخ صالح آل الشيخ: (ص١٠١).

۞ الوقفة الخامسة:

الرد على من ينكر تصنيف الناس[١] (سني، سلفي، بدعي، خارجي) إلى غير ذلك من الأسماء والأحكام، فأمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أطلقت لقب: (الحرورية) وبعض الناس يغضب ويقول: دعونا من الأسماء والأحكام، فقد فرقتم المسلمين، والتصنيف يكون بعلم وحجة وبرهان وعدل وتقوى.

۞ الوقفة السادسة:

حرص هذه المرأة على التفقه في أمور دينها، وهذا لأهمية العلم قبل العمل[٢]،

---

(١) وبالمناسبة فقد ألف الشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رَحِمَهُ اللَّهُ كتابا سماه: (تصنيف الناس أو الرد على منكري التصنيف)، وهذا الكتاب من أنفس الكتب في هذا الباب قي هذا العصر، كيف لا والشيخ قد عُرف بكتاباته القيمة النافعة، وبذبه عن الكتاب والسنة والرد على أهل الأهواء والبدع.

(٢) ومما يدل على ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة محمّد,١٩].

قَالَ بن الْمُنِيرِ: أَرَادَ بِهِ أَنَّ الْعِلْمَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ فَلَا يُعْتَبَرَانِ إِلَّا بِهِ فَهُوَ مُتَقَدِّمٌ عَلَيْهِمَا لِأَنَّهُ مُصَحِّحٌ لِلنِّيَّةِ الْمُصَحِّحَةِ لِلْعَمَلِ فَنَبَّهَ الْمُصَنِّفُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى لَا يَسْبِقُ إِلَى الذِّهْنِ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّ الْعِلْمَ لَا يَنْفَعُ إِلَّا بِالْعَمَلِ تَهْوِينُ أَمْرِ الْعِلْمِ وَالتَّسَاهُلُ فِي طَلَبِهِ قَوْلُهُ فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ أَيْ حَيْثُ قَالَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله ثمَّ قَالَ واستغفر لذنبك وَالْخِطَابُ وَإِنْ كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ مُتَنَاوِلٌ لِأُمَّتِهِ.

انظر: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر، (ج١/ ١٦٠).

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((تعلموا فإذا علمتم فاعملوا)).

انظر: "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر، (ج١/ ص٧٠٥).

فيجب علينا أن نطلب العلم، علم الكتاب والسنة بفهم سلفنا الصالح، لنعبد الله على علم، ثم إذا أُشكل علينا شيئا رجعنا إلى العلماء لنستفيد من فقههم وتوجيهاتهم.

۞ الوقفة السابعة:

يجب على المرء إذا اتهم بشيء ما، أو نُسبت إليه بدعة أو ضلالة وهو بريء منها أن يرد عن نفسه ويبين موقفه الصحيح بكل وضوح، كما فعلت هذه المرأة، فقالت: لست بحرورية، ونحن نرى بعض الدعاة تدور حوله الشكوك ويُسأل عن موقفه الصحيح الواضح من بعض القضايا؛ فلا يُجيب! ولو كان بريئا من هذه الاتهامات للزمه أن ينفي عن نفسه كما ينفي عن نفسه الأخبار والشائعات الدنيوية.

۞ الوقفة الثامنة:

أهمية التعرف على الفرق والطوائف للحذر منها ومن أهلها، وأن التحذير من أهل الأهواء والبدع كان منهجا شائعا معروفا عند الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهذه المرأة مع عدم علمها بهذه المسألة الفقهية إلا أنها تعرف ما هي الحرورية، وتعرف أنها فرقة ضالة، ولذلك بادرت إلى البراءة منها.

۞ الوقفة التاسعة:

الرد على من يُخطئ السلفيين أهل السنة والجماعة عند كلامهم وتحذيرهم من أهل الأهواء والبدع، بزعم أن الناس بحاجة إلى التفقه في الطهارة والصلاة، والحمد لله فـأهل السنة علـماء وطلبة علم يبينون للناس مـا يهمهم ويحتاجونه في دينهم، وأيضا في

نفس الوقت يحذرونهم من الأهواء والبدع لخطورتها عليهم.

۞ الوقفة العاشرة:

أن السني يدعو إلى الله وإن كان الباب باب حيض، فإذا أتت مسألة منهجية فالسني يبين وإن كان الدرس في الفقه أو السيرة.

تم بحمد الله